الإلحاد للمبتدئين


بسم الله الرحمن الرحيم

الإلحاد للمبتدئين

دليلك المختصر في الحوار بين الإيمان والإلحاد

تأليف

د . هشام عزمي



الإلحاد للمبتدئين: دليلك المختصر في الحوار بين الإيمان والإلحاد

تأليف:
د. هشام عزمي

الطبعة الثانية: مايو ٢٠١٥
رقم الإيداع: ٢٥٦٢٩ / ٢٠١٤
الترقيم الدولي: ٥-٥-٨٥١٦٥-٩٧٧-٩٧٨

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر (دار الكاتب) أو (مركز براهين) وإنما عن وجهة نظر المؤلف.

دار الكاتب للنشر والتوزيع – الإسماعيلية – مصر
٠١٢٧١٠٣١٢١٨(٠٠٢) – ٠١٠١٥٥٧٧٤٦٠(٠٠٢)

إهداء

إلى أحب الناس إلى قلبي

إلى أبي وأمي

أسأل الله جل وعلا أن يعينني على برهما

﴿وَقُلْ رَبِّي ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾

الإسراء: ٢٤.

المؤلف



«مركز براهين» لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقدية هو مركز بحثي مستقل، يعمل بشكل رسمي من خلال موقعه على شبكة الإنترنت ويُعنى فقط بالعمل في المجال البحثي الأكاديمي لتوفير إصدارات متعددة (كتابية - مرئية - سمعية) على درجة عالية من الدقة والموضوعية والتوثيق يسعى من خلالها لتحقيق رسالته.

- رؤية المركز: عالم بلا إلحاد.

• رسالة المركز: المساهمة النوعية في تفكيك الخطاب الإلحادي ونقد مضامينه العلمية والفلسفية وأبعاده التاريخية والأخلاقية والنفسية والاجتماعية وبناء التصورات الصحيحة عن الدين والإنسان والحياة ومعالجة النوازل العقدية انطلاقاً من أصول الشريعة ومحكمات النصوص كل ذلك بلغة علمية رصينة وأسلوب تربوي هادف.

المشرف العام: أ. عبد الله بن سعيد الشهري

مدير المركز: م. أحمد حسن

اللجنة العلمية: د. هيثم طلعت – أحمد يحيى – مصطفى قديح

الإدارة التنفيذية: تتولى إدارة (دار الكاتب للنشر والتوزيع) مهام الإدارة التنفيذية للمركز.

مستشار الشؤون القانونية: أ. محمود بسيوني عبد الله

الموقع الرسمي: www.braheen.com

للتواصل والاستفسارات: info@braheen.com

فيسبوك: fb.braheen.com

تويتر: t.braheen.com

يوتيوب: y.braheen.com

مُقَدِّمَة

مقدمة

إنَّ الحمدَ لله تعالى، نحمدُهُ ونستعينُهُ ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله تعالى من شرورِ أنْفُسنا ومن سيئات أعمالنا، إنَّهُ منْ يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلِ فلنْ تجدَ له وليًّا مرشدا، أما بعد..

في إحدى ليالي نوفمبر عام ٢٠١٤م فوجئتُ بالعديد من الاتصالات الهاتفية من المعارف والأصدقاء تخبرني بأنَّ أحدَ المذيعين المعروفين خرجَ في برْنامجه يسبُّ ويشْتُمُ المعلنين عن دوْرةٍ علميَّةٍ لمقاومة الإلحاد، وكنت وقتها مدعوًّا من قِبَلِ (مركز الفتح للبحوث والدراسات) لإلقاء محاضرتيْن في هذه الدورة بالاشْتراك مع الدكتور الفاضل (هيثم طلعت) والأستاذ المهذب الخلوق (مصطفى نصر قديح)، في الحقيقة لمْ أكترثْ كثيرًا لهذا الأمْرِ لأنَّهُ قد سبَقَهُ هجومٌ ضارٍ من صحفيّين وإعلاميّين على هذه الدورة اشتمل على مطاعنَ

واتهاماتٍ وسوءِ طويَّة مما دفَعَني فيما بعد لاتخاذ إجراءاتٍ قانونيةٍ تجاه بعض هذه الاتهامات التي تضمنت سَبًّا وقذْفًا يؤاخِذُ عليه القانون.

لم تكنْ هذه الدورةُ هي أوَّل علاقتي بملف الإلحاد الجديد في العالم العربي، ففي عام ٢٠٠٤م كنتُ أحدَ المشاركين في تأسيس (منتدى التوحيد) المتخصص في الحوار حول الإلحاد والمذاهب الفكرية المعاصرة، وقد شاركت –وما زلت أشارك– في الحوارات التي دارتْ داخل هذا المنتدى الكبير مع ملاحدةٍ ولادينيين (عرب وأكراد وأمازيغ وتركمان وأفارقة) من مختلف بلاد المسلمين على مدار سنوات عديدة، وكان المنتدى يصدرُ مجلة إلكترونية مجانية يتمُّ توزيعُها عن طريق شبكة الإنترنت، ثُمَّ صارتْ له قناة مرئية على اليوتيوب وصفحة على الفيس بوك وحساب على تويتر، ووصل في عام ٢٠١٠م أنْ كانتْ له غرفةٌ حواريَّةٌ في برنامج (البالتوك) الشهير استمرت عامًا أو يزيد. وكان هذا المنتدى سببًا في هداية أفواج من الملحدين والمتشككين والحيارى إلى الإسلام، كما كان سببًا في اكتسابي أنا شخصيًّا الكثيرَ من الخبرة في حوار الملاحدة واللادينيين ومعرفة مسالكهم وطُرُقِهم في طرْح الشبهات وفَهْمِ عقلياتهم وذهنياتهم ومواطن استشكالاتهم، بالإضافة إلى اكتسابِ عددٍ كبيرٍ جدًا من

الأصدقاء والأحباب الذين يشاركونني نفْسَ القضية الدعوية والذين تعلَّمْتُ منهم الكثيرَ والكثيرَ زلْتُ أتعلَّمُ منهم حتى اليوم.

في أواخر عام ٢٠١٣م قامتْ نخْبَةٌ متميزةٌ من روَّاد منتدى التوحيد بقيادة الأستاذ الفاضل (عبد الله الشهري) بإنْشاء (مركز براهين لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقدية) ليكونَ خطوةً جديدةً في تناول ملْف الإلحاد خارج إطار الشبكة العنكبوتية، وقام المركزُ فعلًا بإصدار عدَّةِ أعدادٍ من (مجلة براهين) تميَّزَتْ بالمستوى العلميِّ والشرعيِّ الرفيع؛ لكنَّ العملَ على الأرض في معالجة الإلحاد بدأَ قبْلَ هذا بفترةٍ حيْثُ استضافتْني (جمعية سخاء) للتعريف بالإسلام للمشاركة في دوْرةٍ عن الإلحاد مع الدكتور الحبيب (أحمد الغريب) والأخ الفاضل اللبيب الأريب (أحمد جاويش) في سبتمبر عام ٢٠١٢م، وبعدها قمتُ بالمحاضرة عن الإلحاد وأطروحاتِهِ في العديدِ من المناسباتِ والندوات والفعاليات الدَّعَوِيَّةِ والفكريةِ كانتْ أبرزُها الدورةُ التي أقامَها (مركز الفتح للبحوث والدراسات) في يونيو ٢٠١٤م عن مُقاومَةِ الإلحاد حيْثُ أَلْقَيْتُ أربعَ محاضراتٍ في يوميْن عن الإلحاد ونقده والأدلة على وجود الله ونظرية التطوُّر.

في شهر يوليو من نفس العام ٢٠١٤م شاركتُ مع الدكتور الفاضل (محمود نجا) المدِّرسُ بكلية (طب المنصورة) في ستّ

حلقاتٍ على قناة (الرحمة الفضائية) في شهر رمضان الماضي حيْثُ استضافنا فضيلةُ الدكتور (محمد داود) في برنامجه (حوار الإيمان والإلحاد) للكلام حوْلَ نقْدِ نظريَّةِ التطور، ثم تكررتُ هذه اللقاءاتُ الفضائيةُ بعد شهر رمضان حتى اليوم وشارك فيها أيضًا الدكتور هيثم طلعت والأستاذ مصطفى قديح.

قبْلَ هذه الآونةِ اقترحَ عليَّ الأخُ الفاضلُ الباحثُ الشَّرْعِيِّ المتميز (أبو فهر أحمد سالم) أنْ أكتبَ كتابًا أضُمُّ فيه محتوياتِ المحاضرات التي ألْقِيها عن الإلحاد الجديد، فألقى اللهُ في قلبي الحماسَ والنشاطَ لهذه الفكرة، وشجعني على القيام بها فضيلة الشيخ (محمد سعد الأزهري) مدير مركز الفتح للبحوث والدراسات، وكنت أنْوِي أيَّامَها الكتابةَ فقط عن الإلحاد الجديد ونقْد أبْرَزِ أطروحاته، ثُمَّ بدا لي أنْ أزيدَ عليه بالكتابة في الأدلَّة على وجود الله حَيْثُ سَعَيْتُ في جمعها من جميع المصادر المتاحة في حدود إمكانياتي ثُمَّ قمْتُ بتصنيفها وتقسيمها حتى تكونَ سهلةَ التناول بالنسبة للقارئ، وأسأل الله عز وجل أنْ أكونَ وُفِّقْتُ في طرْحها نظرًا لما وجدْتُهُ من عدمِ وجودِ مصَنَّفٍ جامعٍ شاملٍ في المكتبة العربية الإسلامية يحْرِصُ على جمْعِ كُلِّ الأدلَّةِ على وجود الله، وأرجو أنْ يكونَ هذا العرضُ السريعُ لها في كتابي فاتحةً لأعمالٍ أخرى أكثرَ عُمْقًا ينهضُ لها الباحثون المتخصصون في هذا الباب.

وطالما بلغْنا هذا القدرَ في الكلام عن محتويات الكتاب، أرى أنَّهُ يجدرُ بنا تقديمُ عرْضٍ مجْملٍ لموضوعاته، فالكتاب ينقسم إلى أربعة أبواب:

– الباب الأولُ؛ بعنوان الإلحاد الجديد، ويبدأ بالتعريف بظاهرة الإلحاد الجديد في الغرب ونَشْأتها وأبرز رموزها وأطروحاتها، ثُمَّ فصْل عن أسباب الإلحاد بين الشباب العربي استعرضتُ فيه أبرزَ الأسباب التي ذكرها من سبقني من الباحثين ثُمَّ أضفْتُ إليها أسبابًا أخرى مقسمةً موضوعيًا، ثم فصْلٌ عن سمات الإلحاد الجديد في الغرب، ثُمَّ فصل عن سمات عقلية الملحد في مقابل عقلية المؤمن.

– الباب الثاني؛ بعنوان الأدلة على وجود الله، وهو في ثلاثة فصول: الفطرةُ ودلالَتُها على وجود الله، والأدلةُ العقليةُ على وجود الله، والمرجحاتُ الخارجيةُ للإيمان على الإلحاد. وقد راعيْتُ في هذا الباب التقسيمَ والتصنيفَ النوعيَّ للأدلة خصوصًا الأدلة العقلية المستمدة من النظر العقلي.

– الباب الثالث؛ بعنوان أطروحات الإلحاد في مناوئة الأدلة على وجود الله، وهو في أربعة فصول: سؤالهم من خلق الله، ومشكلة وجود الشر، وزعمهم تناقض القدرة الإلهية، وتناقض العلم الإلهي. وفي كلِّ فصْلٍ اهتممتُ بالجواب عن الشبهة الإلحادية بشكل يقنع العاقل المنصف.

– الباب الرابع؛ بعنوان نقد أطروحات الإلحاد، وهو في فصلين: سؤال الأخلاق، وحرية الإرادة. وفيه تناولت بالنَّقْدِ موقفَ الإلحاد من القضيتين المذكورتين مبينًا تناقضَهُ الداخليَّ وتناقضَهُ مع العقل والفطرة والحس.

– الخاتمة؛ بعنوان سُبُلُ مكافحة الإلحاد، وفيها تقدمتُ ببيان أهمية تناولنا لهذا الملف، ثُمَّ كيفية تناوله إمّا عن طريق تقسيم محاور العمل فيه أوْ عنْ طريقِ اقتراحِ بعضِ التوصيات المنهجيةِ المفيدةِ للباحثين والعاملين فيه.

وأحْمَدُ اللهَ حمدًا كثيرًا على توفيقي لإتمامه، ولا يَتِمُّ شكرُ الله إلَّا بشكر من كانوا عوْنًا لي في خروج هذا الكتاب، وأولُهم زوجتي الحبيبة، وكذلك بنتاي الصغيرتان (سما ومنة) اللتان كانتا مصدرَ إلْهامٍ كبيرٍ لي خصوصًا في المباحث المُتَعَلِّقَةِ بالفطْرَةِ الربَّانية في الأطفال.

وأتوجَّهُ بالشُّكْرِ الجزيل لكلٍّ من فضيلة الدكتور (خالد بن منصور الدريس) أستاذ الحديث بجامعة الملك سعود، والأستاذ (عبد الله الشهري) المشرف العام على مركز براهين، والمهندس (عبد الله العجيري) مدير مركز تكوين، فَهُمْ من أكثر الشخصيات التي اسْتفدْتُ بطرحها الفكريِّ في قضية الإلحاد بالإضافة إلى أكابر المحاورين بمنتدى التوحيد الذين لا أحصي أسماءهم، ويظهر أثرُ ذلك بالغًا لمن

يقرأ هذا الكتابَ المتواضع. وشكرًا للأخوين الفاضلين (سلطان العميري) و(أحمد جاويش) على اطلاعهما على هذا الكتاب وملاحظاتهما الموضوعية بالغة الأهمية والتي ساهمت في جعله أفضلَ طرحًا وتنظيما. وآخرُ دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّ اللهم على نبينا محمد وسلم.

د. هشام عزمي

الفصل الأول

الإلحاد الجديد

الإلحاد الجديـد

تعريفات:

الإلحادُ لُغويًّا يعني الانحرافَ أوْ العدولَ عن الطريق المستقيم. وقد جرى الاصطلاحُ على التعبيرِ بلفْظِ الإلْحاد عن إنكار وجود الله سبحانه وتعالى، فالمُلْحِدُ هو المنكرُ لوجود الله تعالى حسب الاصطلاح المتداول. لكنْ عند تناولِ ظاهرةِ الإلحاد الجديد لا بُدَّ من الانتباه إلى أنَّها لا تمثِّلُ لونًا واحدًا من ألوان الطيف -خصوصًا على المستوى العربي- بل هي تصف ألوانًا متعددة وأطيافًا متفاوتةً داخلَها لابُدَّ من التمييز بينها مراعاةً للدِّقة والموضوعيَّة في وصْفِ الواقع.

الملحد Atheist: **هو المنكرُ لوجود الله تعالى، سواء لاعتقاده الجازِمِ باسْتحالة وجود خالق** Strong Atheist **أوْ أنَّ وجودَهُ أمرٌ ضعيفُ الاحتمال جدًّا** Defacto Atheist.

اللاأدْري Agonistic: هو المتوقِّفُ في مسألة وجود الله، ويرى أنَّ أدلةَ إثباتِ وجودِهِ تتكافأ مع أدلَّةِ نفْي وجوده، وبالتالي لا يمْكِنُ بلوغُ حُكْمٍ عقلي في هذه القضية.
الربوبي Diest: هو المُعْتِقِدُ في وجود إله خالق؛ لكنَّهُ يرى أنَّ هذا الإلهَ خلقَ الكوْنَ ثُمَّ تركَهُ يعمل كالساعة الزنبركية التي أُدير مفتاحها ثم تُركت لتعْمَلَ وحْدَها بدونِ توجيهٍ ولا تدبير.
اللاديني Irreligious: هو المُنْكِرُ للأديان عامةً، وهو قد يكونُ ملحدًا أو لاأدريًا أوْ ربوبيًا، وعلى النقيضِ منهُ الدينيُّ الذي يؤْمِنُ بدينٍ منظَّمٍ لهُ كتابٌ موحَى به وأركانٌ للعقيدة وشعائرُ وعباداتٌ ودورُ عبادة.

ثمَّ ينْبغي التنبيهُ على نقطتين متعلقتين بهذه التعريفات:

الأولى: أنَّ هذه التعريفاتِ ليستْ مراحلَ في طريق البحث عن الحقيقة بلْ هي مواقفُ نهائيةٌ من قضية وجود الله. فاللاأدْريُّ مثلا – حسب التعريف– ليس المقصودُ به الشخصَ المتحيِّرَ الباحثَ عن الحق المتوقفَ بين إثبات وجود الله أو إنكاره، بل على العكس هو شخصٌ يؤمن أنَّ الأدلَّةَ على وجود الله وعدمه متكافئةٌ وأنَّ العقلَ البشريَّ و الخبرةَ البشريةَ لا يمْكِنُهما الإجابةُ على هذا السؤال الغَيْبِي.

الثانية: أنَّ البعضَ قدْ يحْسِبُ أنَّ الربوبيَّ الذي يؤمنُ بوجود إلهٍ يُعَدُّ أقربَ لأتْباع الأدْيان وأبْعدَ عن الملاحدة، لكنَّ الظاهرَ أنَّ عداءهم للأديان وأهلِها كبيرٌ وهُمْ أقْرُبُ رَحِمًا وأكثرُ ميْلًا للملاحدة وأكثرُ تعاطفًا معهم.

نبذة مختصرة:

الإلحادُ الجديدُ New Atheism هو اصْطلاحٌ مُعْتبرٌ في الدوائر الثقافية والفكرية والفلسفية، رغْمَ وجود تَحَفُّظاتٍ على استعماله في الدوائر الأكاديمية، ويشير إلى موْجَةٍ إلحاديةٍ متعاظمةٍ في الغرب بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، فقبْلها كان الملحدون لا ينخرطون كثيرًا في الطَّعْن على الأديان ولا الدعوة لاستئصالها ومحْوِها من الوجود في المُجْتمع وفي عالم الأفْكار والعقول؛ لكنْ بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م والتي أتُّهِمَ فيها دينُ الإسلام وتعاليمُهُ ثُمَّ ردُّ فعل الإدارة الأمريكية التي أعْلَنَ رئيسُها عنْ شنِّ حرْبٍ صليبيَّةٍ على العالم الإسلاميِّ وقامَ فعْلًا بغزو (أفغانستان والعراق)، بعد هذه الأحداث شَعُرَ الملحدون أنَّ الأديانَ سوف تؤدي إلى قيام حرْبٍ عالميةٍ ثالثةٍ تبيدُ الحضارةَ على كوْكب الأرض وتقضي على الوجود البشري بأكمله، وأنَّ هذا إنْ لمْ يحْدُثْ في العاجل فسوف يحدثُ لا محالة –من وجهة نظرهم– في مستقبل الأيام، وأنَّ الأديانَ بهذه الصورة صارتْ خطرًا يهدِّدُ الحضارةَ والإنسانيةَ ويجثُمُ على صدرها، وأنَّهُ لا خلاصَ للجنْس البشري ولا نجاةَ من هذا المصير الأليم والهلاك الوشيك إلا بالتَّخُلُصِ من الأديان كلِّها تمامًا وأنْ يصبحَ العالمُ بلا أديان.

يمكنُنا بالفعل أنْ نؤَرِّخَ لبداية صعود الإلحاد الجديد بأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، ففي عام ٢٠٠٤م صدر كتاب الملحد سام هاريس Sam Harris (نهاية الإيمان End Of Faith) الذي كان من

أكثر الكتب مبيعًا في أمريكا، وكان فاتحةَ سلسلة من كتب الإلحاد الأكثر مبيعًا في العالم. في هذا الكتاب أشار سام هاريس إلى أنَّ أحداث ١١ سبتمبر –التي ألقى فيها اللوْمُ على دين الإسلام بشكل مباشر– هي الدَّافعُ لكتابته هذا الكتاب، وهاجم الإسلامَ واليهوديةَ والنصرانيةَ بشكْلٍ عنيف. في هذا الكتاب ذَكَرَ الاعتقادَ الدينيَّ –ضمْنَ قائمةٍ تحوي كذلك الجهلَ والكراهيةَ والجشع– كأحدِ الشياطين التي تعْبَثُ في عقول البشر، ثم يرى هاريس أنَّ الدينَ هو الأداةُ الرئيسيَّةُ في يَدِ الشيطان Devil's Masterpiece.[١] وبعد عامين قام هاريس بكتابة (رسالة إلى أمة نصرانية Letter To A Christian Nation) وواصل الإهاناتِ معتبِرًا الدينَ في الجانب الخاطئِ في حرْبِ الأفكار[٢]، وأنَّ خلاصَ العالم يعْتِمُدُ على انْتصار هؤلاء الذين يقفون في الجانب الصحيح، أيْ ضِدَّ الدين.

من ضمْنِ هؤلاء الذين يقفون في الجانب الصحيح –من وجهة نظر هاريس– الفيلسوف الملحد (دانييل دينيت Daniel Dennet) الذي يسْعَى إلى فكِّ ألغاز الدِّين في كتابه (إبطالُ السحر: الدين كظاهرة طبيعية Breaking The Spell: Religion As A Natural

(١) ص ٢٢٦.

(٢) ص ٨٠.

Phenomenon) الذي صدر عام ٢٠٠٦م، والذي يلْعَبُ فيه دينيت دوْرَ الحكيم العاقل في نقْده لظاهرة الدين، لكنَّ ميولَهُ الإلحاديةَ تظْهَرُ بوضوحٍ؛ حيْثُ إنَّ الدينَ –من وجهة نظره– قوةٌ خطيرةٌ تحتاجُ إلى دراسة علميَّةٍ حصيفةٍ من أجْلِ التحكُّمِ فيها والسيْطرةِ على شرورها. وهو يرى أنَّ البراهينَ على وجود الله ضعيفةٌ وواهيَةٌ لمْ تستغرقْ في إبطالها إلَّا ستَّ صفحاتٍ خفيفة، مشيرًا إلى ما كتبه (ريتشارد دوكينز) منْ نقد لهذه الأدلة في كتابه الشهير (وهْمُ الإله). وبما أنَّ الاعتقادَ الدينيَّ يمْكنُ تفسيرُهُ بدون اللجوء إلى فكرةِ وجود إله، فهو في نظر دينيت ليس إلَّا وهم. وهذا الوهْمُ ليس لهُ كبيرُ فائدة، بل ما ينْبغي مناقشتُهُ ودراستُهُ بخصوصِهِ هو مدى ضرَرِهِ وخطره.

في عام ٢٠٠٦م أيضًا عرض ريتشارد دوكينز Richard Dawkins الفيلمَ الوثائقيَّ (أصْلُ كلِّ الشرور Root Of All Evils) طاعنًا في وجود الله عز وجل وفي جميع الأديان، ثُمَّ أتْبَعَهُ بكتابه الأشْهر على الإطلاق (وهْم الإله The God Delusion) الذي ظلَّ شهورًا طويلةً على قائمة الكتب الأكثر مبيعًا في العالم وطُبِعَتْ منه ملايينُ النسخ وتُرْجِمَ إلى العديد من اللغات.

كذلك خرج علينا الملحد (فيكتور ستينجر Victor Stenger) عام ٢٠٠٧م بكتاب (الله: الفرضية الباطلة God: Failed

Hypothesis) والذي يسْعَى فيه لإظهار أنَّ التقدمَ والتطوُّرَ العلميَّ الحديثَ قد أثْبتَ بشكلٍ قاطعٍ أنَّ اللهَ غيرُ موجود. ثُمَّ ينتقل إلى الكلام المعتاد للملاحدة عن كوْنِنا لا نحتاجُ الدينَ ليعطي حياتَنا المعنى والقيمةَ بل هو مصدرُ الشرِّ في العالم.

لكنَّ الهجومَ الأكثرَ ضراوةً وغضبًا وهياجًا على الدين يأتي من كتاب (كريستوفر هيتشنز Christopher Hitchens) (الله ليس عظيمًا: كيف يُسَمِّمُ الدّينُ كلَّ شيء God Is Not Great: How Religion Poisons Everything) الصادر في ٢٠٠٧م. ويسْعَى هذا الكتابُ إلى الحفْرِ والتنْقيب في تاريخِ الأدْيان ليكشفَ جرائمَها وشرورَها التي حلَّتْ على العالم على مدار التاريخ. ويجْعَلُ هذه الأحداثَ التاريخيَّةَ هي المعبرةُ بحقٍ عن جوهر الدّين وحقيقته، فالدينُ –من وجهة نظره– قد أدَّى بأعدادٍ من البشر لا حصْرَ لها إلى ارْتكاب أفعالٍ شنيعةٍ يشيب لها الولدان. ورغْمَ إقرارِه بأنَّ التنظيماتِ اللادينيَّةَ قد ارتكبتْ جرائمَ مماثلةً[١]، إلَّا أنَّهُ يعْتقدُ أنَّ الدينَ لا يمْلِكُ أيَّ محاسنَ تقابلُ هذه الشرور، ومن يعْتقدُ وجودَ هذه المحاسنَ ليس إلَّا شخصٌ غارقٌ في سوءِ الفهْمِ والأحْلامِ الورْديَّة.[٢]

---

(١) ص ٦.

(٢) ص ٥.

طبْعًا لا يمْكِنُ الإلْمامُ بكلِّ الكُتُبِ ولا كلِّ الأطروحات التي تطْعَنُ في الدِّين ضمن موْجةِ الإلحاد الجديد؛ لكنْ حسْبُنَا هنا أنْ نشيرَ إلى أبرزها. وفي الحقيقة فقدْ خرجتْ علينا هذه المجموعةُ من الكتب الإلحادية التي حقَّقَتْ مبيعاتٍ كُبْرى ممّا جعلَها تتصدرُ قائمةَ الكتب الأكثر مبيعًا لأسابيعَ وشهورٍ وهي تعْطينا فكرةً وافيةً عن دوافع وسمات ظاهرة الإلحاد الجديد في الغرب.

وفي هذا الصدد تجبُ التفْرِقَةُ بين الإلحاد الجديد والإلحاد الشيوعي لأنَّهُ استقرَّ لدى العديدِ من المفكرين والدعاة في عالمنا العربي ارتباط الإلحاد والدعوة إليه بالشيوعية، وأنَّه ما دامتْ الشيوعية في أفول فالمتوقَّعُ للإلحاد أنْ يكونَ كذلك. وهذا توصيفٌ غيرُ سليمٍ لحقيقة الحالة الإلحادية وخطورته أنَّهُ يؤدي إلى الاستهانَةِ بها وعدم القدرة على التعامل مع أطروحاتها بدقَّةٍ وموضوعية. كذلك تجبُ التفرقةُ بينَهُ وبين إلحاد عصْرِ التنوير فهو يتميزُ بالغزارة الفلسفية بخلاف الإلحاد الجديد الذي يتجاهل الفلسفة ويركز على أطروحاتٍ مشتقةٍ من معطياتِ العلم الطبيعي. فالإلحاد الجديد الآن لا يمْكِنُ تناولُهُ كأحد أعراض المذهب الشيوعيّ أوْ كردِّ فعْلٍ لاضطهاد الكنيسة وصراعها مع العلم، بل هو ظاهرةٌ ذاتُ ظروفٍ تاريخيةٍ مختلفةٍ تمامًا عن الظواهر الإلحادية السابقة.

كذلك الإلحادُ في عصْرنا الحالي يخْتلفُ عنْ الإلحاد التاريخيِّ القديمِ الذي كان مقتصرًا على نخبةٍ صغيرةٍ من الفلاسفة أو المفكرين في الصالونات المغلقة، وكان غيْرَ منتشرٍ على نطاق واسع بين عوام الناس، أمّا الآن فنحنُ نشهدُ دولًا وأُمَمًا كاملةً تدين بإنكار وجود الله عز وجل أوْ تتشكّكُ في وجوده، ففي الدول الاسْكنْدنافية مثل السويد والنرويج وفنلندا والدنمارك نجدُ أنَّ غالبيةَ السُّكان من الملحدين واللاأدريين، في ألمانيا ٣٠% من السكان ملاحدة، في فرنسا ٤٠% ملاحدة، وهكذا. فلم يعدْ الإلحادُ حالةً نخبويَّةً ضيقة، بل صارَ لها وجودٌ شعبيٌّ وقاعدةٌ عريضةٌ بين أُمَمٍ من الخلق. فلمْ يعُدْ من المناسب الآن الكلامُ عن الإلحاد على أنَّهُ شذوذٌ مجتمعيٌّ أوْ أنَّ الملاحدةَ أقليَّةٌ ضئيلةٌ لا يمْكِنُ أنْ يُكْتَبَ لها الانتشار.

أسباب وقوع الشباب العربي في الإلحاد

في عام ٢٠١٢م نشر معهد (جالوب الدولي WIN-Gallup International) وهو غيرُ معهد جالوب الشهير في واشنطون، بحثًا ميدانيًا حوْلَ نسبة الملحدين في العالم[1] ظهر فيه أنَّ نسبَتَهم في المملكة العربية السعودية تبلغ ٥% وهي نسبةٌ مساويةٌ للولايات المتحدة الأمريكية حسب نفس التقرير، ورغم التشكيكات الكثيرة حوْلَ هذا البحثِ ومصداقية نتائجه خصوصًا هذه النسبةُ غيرُ المنطقيَّةُ في السعودية إلَّا أنَّهُ، على الأقل يشير إلى وجود مؤثر للإلحاد، ويدَقَّ ناقوسًا خطيرًا للعمل على بحْثِ أسباب وقوعِ الشباب العربي في الإلحاد والسَّعْي لإزالتها أوْ على الأقلِّ معالجتها وتناولها بجدية.

- لماذا نسعى لمعرفة أسباب الإلحاد في مجتمعاتنا العربية؟

١) تفيدُنا معرفةُ أسبابِ الإلحاد في توصيف الحالة الإلحادية وتشخيصِها بدقَّةٍ وموضوعيةٍ وبالتالي إجراء العلاج الصحيح. وإذا فشلْنا أوْ عجزْنا عن تحديد التَّشْخيص بشكْلٍ سليم لنْ نحددَ العلاجَ بشكل سليم. أو كما يقول (نيل ليفن Nel Levin) مؤسس علم النفس التعليمي: "التوصيفُ السليمُ يؤدي إلى كتابةِ العلاج السليم Best Description Leads To Best Prescription".

---

(1) WIN-Gallup International, “Global Index Of Religiosity And Atheism” 06/08/2012. Last Accessed 18/12/2014.

٢) معرفةُ التنوُّع الكبير في أسباب الإلحاد يجْعَلُنا أكثرَ موضوعيَّةً في تناول الظاهرة ويَقِينا من اختزالِها بشكْلٍ سطْحيٍّ في سببٍ واحدٍ فقطْ مثل المؤامرات الخارجية أوْ حُبّ الشُّهْرَةِ أوْ الموضة أوْ حب الشَّهَوات.

يحْكي المهندسُ (عبد الله العجيري) عن موْقفٍ وقَعَ لهُ مع أحدِ طلبة العلْم عندما تطرَّقَ للحديث عن الشباب الملحد فقال: إنَّ كلَّ هؤلاء الملحدين طلابُ شهرة.[1] فهذا الاختزالُ المجحِفُ لأسبابِ الحالة الإلحاديَّةِ يُبْعِدُنا كثيرًا عن الموضوعيَّةِ وعنْ تَفَهُّمِ أحوال الملحدين وبالتالي يخْلُقُ حواجزَ عاليةً تحولُ بيْننا وبيْن دعْوتهم إلى الحق.

٣) كذلك معرفةُ نقاط ضعْفِنا المعرفيَّةِ والمجتمعيَّةِ التي يتَسَلَّلُ منها الإلحادُ إلى شبابنا تفيدُنا في السعي لإصلاح هذه العيوب ورَتْقِها، فيَهْتَمُّ الآباءُ بالحوار مع أبنائهم الصغار والإجابة على أسئلتهم قبْلَ أنْ يكبروا ويصبحوا خناجرَ مسمومةً في قلب دينهم وأمتهم، وتهْتم المؤسساتُ الدَّعَوِيَّةُ بتحصين المجتمع ضِدَّ الأفكار والأطروحات الإلحادية ونَشْرِ الأجوبةِ على تساؤلات الشباب في صيَغٍ عصْرِيَّةٍ كتابيَّةٍ

---

(١) يوتيوب: يجب عدم تسطيح الظاهرة الإلحادية واختزالها عند التعامل معها.
www.youtube.com/watch?v=xEg_GzdVkOE

وفيديويَّةٍ بحيْثُ تكونُ في متناول العوام، وتهتم مراكزُ الأبحاث بتفْكيكِ العلاقاتِ بيْنَ النصوص الشرعية ومعطيات العلم التجريبي وتحليلها بالشكل الذي يدْرَأُ الشُّبْهَةَ ويرفعُ التعارضَ الموْهُومَ بين النقل والعلم وهكذا.

أسباب الإلحاد في العالم العربي:

يُمْكنُ تقسيمُ أسباب وقوعِ الشباب العربي في الإلحاد إلى أسباب شخْصِيَّةٍ واجتماعيةٍ ومعرفية؛ لكنْ قبل سرْدِها أجدُ أنَّهُ من المُهِمِّ التركيزُ على بعض الأسباب المحورية التي أبْرَزَها كثيرٌ من الباحثين في قضايا الإلحاد الجديد.

- الثورات العربية

يرى عددُ من الباحثين والمتكلمين في قضية الإلحاد أنَّ الثوراتِ من الأسْباب البارزةِ للإلحاد، فالشيخ (عبد المنعم الشحات) يرى أنَّ وقوعَ الثوراتِ من أسباب الإلحاد ويعلل ذلك بأنَّ المزاجَ الثوريَّ يدعو للثورةِ على كلِّ الثوابت ومنْ أهَمِّ هذه الثوابت الدين[1]، كذلك

---

(١) يوتيوب: ٠١ تمهيد – الإسلام يتحدى" مدخل علمي للإيمان"– الشيخ م.عبد المنعم الشحات.

www.youtube.com/watch?v=Bz-WoKVJ1Xw

وقد ذكر أسبابًا أخرى كثيرة نفسية ومجتمعية، بل وغيبية مثل الشيطان.

المهندس (فاضل سليمان) يذْكُرُ نفسَ الرأْيِ في حلقة تليفزيونية من برنامج (مصر الجديدة) على (قناة الناس) مع خالد عبد الله بتاريخ ٢٢-٥-٢٠١٣م،[1] ويستشهد بصعود الإلحاد بعد الثورة الفرنسية والثورة البلشفية وينقل عن (ألكسي دو توكفيل) صاحب كتاب (الديمقراطية في أمريكا) الذي خصص فصْلًا من الكتاب حول الإلحاد. وممن يرى هذا الرأي كذلك (د.حسام أبو البخاري) و (د.أحمد الغريب) في حلقة من برنامج (القاهرة اليوم) مع عمرو أديب بتاريخ ٢٩-٥-٢٠١٣.[2]

ومما يلفت النظر في هذا السبب تحديدًا أنَّ الباحثين المصريين دون غيرهم هم الذين يشيرون إليه باستمرار، ونحنُ عمومًا لا نخالفهم في أهميَّتِهِ وإنْ كنّا لا نرغبُ في تضخيمه بدليل أنَّ الإلحادَ موجودٌ في مجتمعاتٍ عربيَّةٍ وإسلاميَّةٍ لمْ تبْلغْها الثوراتُ مثل بلاد الخليج.

---

(١) يوتيوب: قناة الناس مصر الجديدة خالد عبد الله إلحاد الشباب بين التهوين والتهويل- حلقة ٢٢-٥-٢٠١٣

www.youtube.com/watch?v=v_QaS-vFKK8

(٢) يوتيوب: عمرو أديب حلقة كاملة عن الإلحاد والملحدين، سؤال هل تلاحظ انتشار الإلحاد في مصر؟! لقاء مع علماء الاسلام.

www.youtube.com/watch?v=fkRupdJSkSA

ـ صعود الإلحاد في الغرب

يرى المهندس عبد الله العجيري أنَّ هناك موْجَةً إلحاديةً عارمةً في أوروبا وأمريكا حيْثُ شهد هذا بنفسه عندما كان مسافرًا بالخارج، وأنَّ هذه الموْجةَ العاليةَ لا بُدَّ أنْ تبلغَ آثارُها مجتمعاتِنا العربيةَ بسبب أنَّنا في موْقعِ التبعيَّةِ الفكريةِ للغرب؛ لكنَّ المهندس عبد الله كان يأْمَلُ أنْ يتأخَّرَ بلوغُ هذه الموجة لبلادنا العربية بعض الشيء بسبب عائق اللغة، ثُمَّ اكْتشفَ سقوطَ هذا العائق أمام الحركة النشطة جدًّا والدؤوبة لترجمة الكتب والمقالات والأفلام والوثائقيات الإلحادية إلى اللغة العربية.[1]

ـ ثنائية القابلية والتأزم

ذكر الأستاذ (عبد الله الشهري) في محاضرته ضمن فعاليات دورة (تهافت الفكر الإلحادي) أنَّ السبَبَ الأوَّلَ والأهَمَّ لوقوعِ الشخص في الإلحاد هو وجودُ القابلية للإلحاد[2] وهذه القابلية قد تكون نفسيَّةً أو فكرية. أما المقصودُ بالتأزُّمِ هو أنْ يقَعَ الشَّخْصُ في أزْمَةٍ أوْ ابْتلاءٍ أوْ محنةٍ، لكنَّ الابتلاءَ قد يؤدي إلى الإيمان أوْ الإلحاد على السواء؛ فهناك من الناس من تدْفَعُهُ المِحَنُ والابتلاءاتُ للجوء

(١) يوتيوب: فهم الإلحاد الجديد، ش.عبدالله العجيري.
www.youtube.com/watch?v=xB6E7bGhzkw

(٢) يوتيوب: السبب الأهم للإلحاد هو القابلية للإلحاد.
www.youtube.com/watch?v=q6boKunEG84

إلى الله تعالى والتَّقرُّب منه، ومِنْهُم من تدْفَعُهُ إلى اليأسِ من روحِ الله.[1]
لكن إذا وُجِدَتْ القابليَّةُ للإلحاد فإنَّها تُحَوِّلُ الأزْمَةَ والمِحْنَةَ إلى إلحادٍ فعلي، فالعاملُ الذي يدْفَعُ الشخصَ إلى الإلحاد عنْدَ الأزمات هو وجودُ القابلية للإلحاد. فالخلاصة أنَّهُ إذا طرأتْ أزْمَةٌ أوْ محنةٌ أو ابتلاءٌ على الشخص الذي لديه قابلية للإلحاد، سوف تتحول هذه القابلية إلى إلحاد بالفعل، وهذا لأنَّ الأزمةَ أوْ المحنةَ أو الابتلاءَ تؤدي إلى مسار من مسارين: إما اللجوء إلى الله، أوْ اليأسِ من روحِ الله، فالإنسان الذي لديه قابليةٌ للإلحاد سوْفَ يمْضي في مسار اليأس من روحِ الله، أما الإنسانُ الذي ليس لديْه هذه القابلية فسوْفَ يمضي في مسار اللجوء لله عز وجل. فهذا هو المقصود بثنائية القابلية والتأزم.

ـ الطبيعة الحدية للمجتمع

ذكر الدكتور (طارق الحبيب) استشاري الطبّ النفسيِّ في برنامج (بيني وبينكم) مع دكتور (محمد العوضي) في حلقاتٍ بعنوان (سيكولوجية الملحد)[2] أنَّ طبيعةَ المجتمع العربي –والخليجي على

---

(١) عبد الله الشهري، "ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان"، نشر مركز نماء للبحوث والدراسات، ص٢١٤.

(٢) يوتيوب: محمد العوضي (بيني وبينكم ١٤٣٣) [٢٥] سيكولوجية الملحد ١
www.youtube.com/watch?v=ml9hfuDwlDc

وجه الخصوص- التي لا تقْبَلُ الاختلافَ ولا تتجاوبُ مع تساؤلاتِ وطموحاتِ الشباب هي التي تؤدي إلى الإلحاد كتعبيرٍ عن التمرُّدِ على المجتمع؛ لكنْ يعيبُ طرحَ الدكتور طارق تضْخِيمُهُ لهذا العامل والمبالغة فيه.

بعْدَ هذا العرض لأبْرَزِ الأسباب التي اهْتَمَّ الباحثون بذكرها والإشارة إليها نَشْرع في ذِكْرِ بقيَّةِ أسباب الإلحاد الشخصية والاجتماعية والمعرفية.

وللاستزادة حول النقد الموجه لرأي الدكتور/ طارق الحبيب يرجى قراءة موضوع: رأيي في حلقات (سيكولوجية الملحد) للدكتور طارق الحبيب، منتدى التوحيد.
www.eltwhed.com/vb/showthread.php?48263

أولا: الأسباب الشخصية:

وهي التي تعودُ إلى الشَّخْصِ نفسه ويمكن تقسيمُها إلى أسبابٍ نفسيَّةٍ وأسباب فكرية؛ لكنْ مراعاةً لعدمِ المبالغة في التقسيم سنذكرها مجموعة تحْتَ تقسيم واحد.

١) الثقةُ الزائدةُ بالنفس والغرور المعرفي:

بعضُ الشباب عندَهُ ثقةٌ زائدةٌ بإيمانه وصحَّةِ اعتقاده، وفي كثيرٍ من الأحيان يكونُ هذا الإيمانُ مجردَ إيمانٍ قلبيٍّ عاطفيٍّ ليسَ مؤسّسًا علميًّا بشكلٍ صحيح، فهو إيمانٌ بالقلب دون معرفةٍ أو علمٍ سليمٍ بالدين وأدلَّتِهِ وأسباب اليقين به. وعندما يتعرَّضُ هذا الصنْفُ من المؤمنين لتحديَّات واستشكالات وتساؤلات الإلحاد لا يجِدُ لديْهِ من العلم أو المعرفة ما يدْفَعُ به هذه التساؤلات والشكوك، وهو في نفس الوقت لا يعْتَرِفُ بجهله بدينه وبأنَّ الأجوبةَ على هذه التساؤلات موجودةٌ لكنَّهُ يجهلها، فتكونُ النتيجةُ وقوعَهُ في الإلحاد.

٢) الجفاف الروحي:

عدمُ الشعور بلذَّةِ العبادة والقرب من الله والأُنْس بذكره ومناجاته تبارك وتعالى يؤدي إلى جفاف شديدٍ في المشاعر الروحانية، وهذا

الجفافُ يجْعَلُ قرارَ الإلحاد يسيرًا على المرء بخلاف من عايَنَ وخَبَرَ هذه المشاعر.

٣) السطحية الفكرية:

بعضُ الشباب عندما يَشْرِع في قراءة بعض الكتب أو المقالات أو الفيديوهات التي تروِّجُ للإلحاد قد ينْبَهِرُ بما تعرضُهُ نظرًا لافتقاده الحاسَّةَ النقديةَ أو لعدم قدرته على التمحيص والنقد لكلِّ ما يُعرضُ أمامَهُ من أطروحات فيكون هذا الأمرُ بابًا للوقوع في الإلحاد؛ بينما لو تريَّثَ الشَّابُ حتى يزدادَ علْمًا ورسوخًا في القراءة والمعرفة لكان قرارُهُ مختلفًا تمامًا كما يقول (د.هيثم طلعت) :"الإلحادُ هو حُكْمٌ سطحيٌّ كسولٌ للغاية على قضيَّةٍ عميقةٍ للغاية ممتلئة بالأدلة".[1] ومن هذا الباب أيضًا المقولة المشهورة لـ(فرانسيس بيكون) :"قليلٌ من الفلسفة يؤدي للإلحاد والتَّعَمُّقُ فيها يؤدّي للإيمان".

٤) الانْدفاعُ والعجلة:

وهذا السبب قريبٌ من الذي قبله لكنَّهُ يتعلقُ بالجانب النفسيِّ لا الفكري.

---

(١) د. هيثم طلعت، "موسوعة الرد على الملحدين العرب"، دار الكاتب للنشر والتوزيع، ص١٠.

٥) سطوةُ الشهوات ومحاولةُ الهروب من وخز الضمير:

وهذا من أبرز أسباب الإلحاد بين المراهقين حيْثُ يتعارضُ الاستمتاعُ بالشهوة مع الشعور بالذنب ووخز الضمير ويكون على المرْءِ أنْ يختارَ بين طاعة الله، والانْخراط في الشهوات، فيكون قرارُهُ هو التخلُّصُ من الله والدين وتكاليفه. وهذا هو ما يدنْدِنُ حوْلَهُ كثيرٌ من منظّري الإلحاد في كلامهم عن أنَّ الشَّخْصَ عنْدَما يتَّخِذُ قرارَ الإلحاد يشْعُرُ بحالةٍ من الارْتياح والخلاص من التكاليف الدينية، لكن بالطبع هذا الشعورُ المبدئيُّ بالرَّاحة والتَّخفُّفِ من التكاليف الدينية يليه بعد فترة –طالتْ أو قَصُرَت– الشعورُ بالقلق النفسي وفقدان السعادة وعدم القدرة على التَّلَذُّذ بالمتع الدنيوية حتى مرحلة اليأْس والقنوط من مصاعب الحياة الدنيا والرغبة في الانتحار.

٦) الاضطرابات النفسية:

هناك علاقةٌ بين الإلحاد وعددٍ من الاضطرابات النَّفْسية مثل الاكتئاب والوسواس القهري. بلْ إنَّ هناك فئاتٍ معينةً من المرضى نفْسيًا مثل أصْحابِ الشُّذوذ الجنسي يتِمُّ استهدافُهم في الدعاية للإلحاد بزعْم أنَّ الإلحادَ هو المذهبُ الوحيدُ الذي يمْنَحُهم حريَّتَهم الجنسية.

٧) نظرية الوالد المشوه "المعيب":

وضع هذه النظرية البروفيسور (بول فيتز Paul Vitz) أستاذ علم النفس بجامعة نيويورك مستخدمًا أدوات المدرسة التحليلية الفرويدية في علم النفس ليخرجَ بنتيجة مخالفةٍ تمامًا لما وصل إليه فرويد منتقدًا إياه.[١]

ولِفَهْمِ هذه النظرية بدقَّةٍ من المُهِمِّ أنْ نتعرفَ بإيجاز على المدرسة التحليلية في علم النفس التي وضع أسسها (سيجموند فرويد) الذي لفتَ النظرَ إلى وجود ما يُعْرَفُ باسم (العقل الباطن أو اللاوعي أو اللاشعور)، وكيف أنَّ هذا العقلَ الباطنَ يؤثِّرُ في سلوكياتِنا وأفكارِنا وقراراتِنا دون أنْ نشعر.

وينطلق بول فيتز من هذه المدرسة في علم النفس فيقرر أنَّ دوافعَ الإلحاد وموانعَ الإيمان بالله تعالى هي بالأساس نفْسِيَّةٌ وليْستْ عقليَّةً منطقيَّةً وأنَّ هذه الدوافعَ تنْقِسِمُ إلى قسمين: سطْحيَّةٍ مثل الانْتماء لفئةٍ اجتماعيةٍ أوْ علميَّةٍ معينةٍ أوْ عدم الرَّغْبَةِ في التقيُّدِ بالتكاليف الدينية أو غيرها وعميقةٍ في العقل الباطن وهي الدوافعُ التحليلية.

---

(1) Paul Vitz, “Psychology of Atheism”, Antimatters - Issue 6 (Vol. 2 No. 4) December 2, 2008.

يرى فرويد أنَّ أسبابَ الإيمان بالله نفسيَّةٌ لا يمْكِنُ الاعتمادُ عليها، وهي تعبيرٌ عن عُقْدَةِ أوديب حيْثُ يتخلَّصُ الأبناءُ من أبيهم الذي يغارون منه حتى يظْفروا بأمهم، ثُمَّ ينْشأُ لديهم الشعورُ بالذَّنْب تجاهه ثمَّ يتطوُّرُ هذا الشعور إلى تعْظيمٍ وتبجيلٍ ثُمَّ عبادةٍ وتأليهٍ وهكذا ينْشأُ الإيمان بالله عند فرويد.

ينتقد فيتز هذا التصوُّرَ من عدةِ وجوهٍ لكنَّ أبرزَها هو أنَّ الأوْقَعَ والأصْوَبَ –على سبيل الإلزام– اعتبارُ الإلحاد تعبيرًا عن عُقْدَةِ أوديب؛ حيْثُ أنَّ إنكارَ الإله هو هزيمةُ هذا الرَّمْزِ الأبويِّ والانْتصار عليه، لكنَّ فيتز في الحقيقة لا يرى أنَّ العقدةَ الأوديبيةَ هي الصورةُ الصحيحةُ لتفسير الدوافع التحليلية في العقل الباطن للإلحاد.

تتلخص نظريةُ بول فيتز في أنَّ المرءَ ينْظُرُ إلى الله سبحانه وتعالى على أنَّهُ أبٌ مثاليٌّ، وعندما تتشوَّهُ صورةُ الأبِ الأرضيِّ تخْتَلُّ بالتّبْعيَّةِ صورةُ الأبِ السماويِّ مما يؤدّي إلى الوقوع في الإلحاد والجحود وإنكار الله. ومن صوّرِ هذا الأب المشوَّهِ أو المعيبِ أنْ يكونَ ضعيفًا أوْ غيرَ محترمٍ أوْ عنيفًا أوْ قاسٍ أوْ غيرَ موجود، ومن الأمثلة التاريخية لهذا الأمر: فرويد – فولتير – ماركس – هتلر – فيورباخ.

ثانيًا: الأسباب الاجتماعية.

وهي التي تنْبُعُ من المجْتَمَعِ المُحِيطِ بالملحد في الأسرة والمدرسة والجامعة والعمل والأصحاب.. إلخ.

١) الجمود الدينيُّ وضعْفُ المناعة المجتمعية:

والمقصودُ بهذا هو انخفاضُ مستوى التَّدين في المجتمع بشكْلٍ لا يوَفِّرُ لأفرادِهِ المناعةَ أوْ الحصانَةَ ضِدَّ الأفكارِ المخالفةِ بما فيها الإلحاد وأطروحاته. وهذا الانخفاضُ في التديُّنِ قد يكونُ على صورتين: انخفاضِ مستوى العلم بالدِّين والتَّفَقُّهِ فيه بين الناس ؛ وانخفاضِ مستوى الالتزام بالطاعات ومراقبة الله في الأفعال والسلوكيات بين عَوَامِ الناس. في مثل هذا المجتمع الهش دينيًّا يسْهُلُ على أفكار الإلحاد أنْ تتسرَّبَ بيسرٍ إلى عقول وقلوب الشباب الذين لمْ ينْشئوا على علْمٍ بالدِّين أوْ اسْتحضار مراقبة الله في سلوكياتهم.

ولا يَعْني هذا الكلامُ أنَّ أبناءَ الأُسَرِ المتديّنةِ سيكونون محصَّنينَ ضِدّ خطر الإلحاد والانحراف، بل الواقعُ أنَّهُ إذا كانَ المجتمعُ الخارجيُّ في عمومه متحجرًا دينيًّا وغيرَ قادرٍ على مواجهة الأفكار المنحرفة ويسود فيه الجهلُ بالدين وعدمُ الالتزام به عمليًّا وسلوكيًّا فليس هناك حصانةٌ حقيقيةٌ فعليةٌ لأبْناء الأُسَر المتدينة بل همْ عرضةً للوقوع في الإلحاد وسائر الانحرافات كغيرهم.

والمقصودُ كذلك بالجمود أوْ التحجر الدينيِّ هو عَدَمُ تطوُّرِ أدوات وصياغات الخطاب الشرعيّ لتواكِبَ الأطروحاتِ الثقافيةَ والعلميةَ الجديدةَ والتحدياتِ التي يفْرِضُها العصْرُ والأوضاعُ الاجتماعيةُ المستحدثةُ لكثير من الفئات المجتمعية، ولا يُقْصَدُ بهذا التطوُّرِ تبديلُ الدين أو تغييره ليناسبَ الأفكار الدَّخيلة عليه.

٢) كبْتُ الأسئلة:

بعضُ الأُسَرِ أوْ المجتمعاتِ تمارسُ نوعًا عجيبًا من القهْر على أبنائها فتمنعهم من طرح الأسئلة أو الاستشكال وتهددهم بأنَّ مجرَّدَ طرحِها يعني الكُفْرَ والمروقَ من الدين أوْ قدْ يقابلون أسئلةَ الشاب أو استشكالاته بالسخرية والتَّهَكُّمِ والاستهزاء مما يدْفَعُهُ لكتمانها صيانةً لمروءته وكرامته من الامتهان.

هذه الممارسةُ لكبْتِ أسئلةِ الشَّبَاب تدفعهم للتفكير في أنَّ الإسلامَ نفسَهُ لا يملكُ أجْوِبَةً على التساؤلات وأنَّهُ يكْبُتُها ويحرّمُها حتى لا يقعَ الدّينُ في الإحراج، وبالتالي تتضخَّمُ قوَّةُ هذه الاستشكالات والشبهات في ذهْنِ الشاب إلى درجةٍ تفوقُ حجمَها الحقيقيَّ ويظُنَّ أنَّ الإسلامَ دينٌ ضعيفٌ لا يمْلِكُ أجْوِبَةً ولا حلولًا لأسئلتِهِ حتى تصبحَ في نهاية المطاف السبَبَ في إلحاده وتركه للإسلام بالكلية. وقد يكونُ هذا الكبْت –كعامل نفسي– دافعًا

للشاب لكيْ يتمردَ على بيئته ومجتمعه وينضَمُّ للمعسكر الآخر المعاكس لهذا نجِدُ أنَّ كثيرًا من الدعايات المروِّجَةِ للإلحاد ترْتكزُ في خطابها للشباب والمراهقين على أطروحة التمرد على القهر والكبْت المجتمعي وقيود التقاليد وغيرها.

٣) اضطهاد المرأة:

هذا من أبْرزِ وأكبَرِ أسبابِ الإلحاد بين الفتيات خصوصًا أنَّ دعاةَ الإلحاد يستهدفون المرأةَ بدعاياتهم الإلحادية بزعْمِ التحرُّرِ من سلطة الآباء وقهْرِ الذكور وغيرها من الشعارات، فإذا انضمتْ إلى هذه الدعاية ما تلاقيه المرأةُ من اضطهادٍ وظُلْمٍ وقهْرٍ في مجتمعها أو أسرتها كان هذا داعيًا قويًّا للوقوع في فَخِّ الإلحاد.

أنا شخصيًّا تعرَّفتُ إلى قصةِ فتاةٍ مصرية من أسرة ثريَّةٍ جدًّا كان أخوها الأكبرُ ضابطَ شرطةٍ وكان هذا الأخُ الضابطُ يمارِسُ عليها ألوانًا كثيرةً من الضّرب والعنْفِ إذا خالفَتْهُ وكأنَّما هي أحدُ المجرمين الذين يتعاملُ معهم في قسم الشرطة! وفي نفس الوقت كانت هذه الفتاةُ تتواصلُ عن طريق مواقع التواصل الاجتماعيِّ مع عددٍ كبيرٍ من شباب الملحدين الذين أداروا رأْسَها بمعْسول الكلام عن التّحرُّرِ من السُّلْطةِ الأبويَّةِ الذكورية بالإضافة إلى عبارات الغزل والغرام، وأنَّهم على استعدادٍ لتهريبها إلى أحدِ دُوَلِ شمال أوروبا كلاجئةٍ ملحدةٍ هاربةٍ من

الاضطهاد الدينيّ في بلدها، ولا يخْفَى على القارئ الكريم كيف يمْكِنُ أنْ تُصْبَحَ فتاةٌ مثلُ هذه فريسةً سهلةً لأيِّ أحد في بلد غريبة.

وأسوأُ من هذا الأمر أنْ يَتِمَّ تبريرُ هذا الاضطهاد والقهْر للمرأة دينيًّا بحيْثُ تكتشفُ المرأةُ أنَّ الإسلامَ هو سببُ اضطهادِها وظلمها فيكون هذا داعيًا إلى ترْكها له. يحكي الأستاذ (منير أديب) قصةَ طبيبةٍ مصريَّةٍ ملْحَدةٍ كان أوَّلُ ما دفَعَها للإلحاد هو أنَّ زوْجَها السلفيَّ ضرَبَها على وجهها، فلما شكت لوالدها أخبرها أنَّ اللّهَ أعْطَى لزوْجها هذا الحقَّ وتلا الآياتِ القرآنيةَ في ذلك، تقول الطبيبة: "كنْتُ في غاية العجب من تفْسيرِ كلامِ والدي إنْ صَحَّ، أنْ تكونَ وصيَّةُ الخالق ضرْبَ وإهانةَ المرأة خاصَّةً وأنَّ الإسلامَ يُحَرِّمُ ضرْبَ الحيوان ذاته؛ فهل المرأةُ هنا أقلُّ من الحيوان".[1]

٤) تخلُّفُ الأمة:

وهذا قدْ يُعَدُّ من أسباب الإلحاد في المجتمعات المتخلّفة حضاريًّا، خصوصًا إذا تَمَّ الربْطُ بين هذا التخلف والدين؛ فعندما يقارنُ الشبابُ المُنْبَهِرُ بالغرب بين تقدمّ الغربيين الكفار وتحضرهم وترقيهم في مدارِج العلوم المختلفة وبين تخلُّفِ بني قومه من المسلمين

(١) منير أديب، "الإلحاد بين أفكار أصحابه وهجرة أتباعه"، دار مقام للنشر والتوزيع ص٩٦.

وتأخرهم وانحطاطهم قد تكون هذه المقارنة دافعًا له لفقدان الثِّقة في قُدْرَةِ الإسلام على تحقيق التقدُّم والنهضة، وبالتالي الكفر به بالكلية.

وهذا في الحقيقة ظلْمٌ لدين الإسلام لأنَّهُ ليْسَ سببًا في تخلُّفِ المسلمين كما أنَّ الكفْرَ ليس هو سببُ تقدم الغرب، بل الجهةُ منْفَكَّةٌ هنا بين هذا وذاك فالغربيون تقدَّموا لأنَّهم اجتهدوا وسعوا بينما تأخرْنا نحنُ لأنَّنا تكاسلْنا وعجزنا. فالحقيقة أنَّ التقدمَ والتخلفَ له علاقةٌ بالاجتهاد والسعي والعمل في أمور الدنيا، وليس الإسلامُ سببًا للتخلف ولا الكفرُ سببٌ للتقدم كما يظن هؤلاء.

وفي بعض الأحيان تكونُ الأمَّةُ –أيَّةِ أمة– في محْنة اقتصادية أوْ اجتماعية ويتِمُّ طرْحُ حلولٍ لهذه المحْنةِ ويتطلَّعُ أفرادُ الشَّعْب لهذه الحلول على أنَّها الأملُ في إنهاء الأزْمةِ والخروجِ من عُنُقِ الزجاجة، ثُمَّ يقومُ رجالُ الدّين برفْضِ هذه الحلول لأنَّها مخالفة للدّين أو متضمنة للكفر أوْ غيرُهُ من الأسباب، فيكون هذا الأمرُ من أسبابِ تفَشّي الإلحاد في هذه الأمةِ كما حَدَثَ في أوروبا في عصور النهضة والتنوير.

٥) تمزق الأمة وتفرقها:

وهذا أيضًا من أسبابِ الفتْنَةِ التي تؤدي بالشباب إلى الإلحاد ما بيْن سُنَّة وشيعَة وأباضيَّة ومعتزلة، ثُمَّ بين السلفيين والأشاعرة والصوفية

وهكذا، وهذه من أسبابِ الفتْنَةِ بين الشباب غيرِ القادرِ على تمييز الحقِّ من الأباطيل في هذه الأشلاء، فيقعُ في حيرة كيف يرضى اللهُ الحكيمُ الرحيمُ أنْ يكونَ الدّينُ سببًا في كلِّ هذا التنافر والتناحر بين أبنائه مما يؤدي به في نهاية المطاف إلى الكفر بالله والإلحاد.

ثالثا: الأسباب المعرفية:

وهي المُتَعَلِّقَةُ بالعلم والمعرفة والشبهات، وأفضل من تكلم عنها (د.الطيب بوعزة) الفيلسوف الأكاديميُّ المغربيُّ في مداخلة ببرنامج (حوارات نماء) مع الدكتور عبد الله القرشي وعبد الله العجيري وعبد الله الشهري بتاريخ ١٠ رجب ١٤٣٤ هجرية[1]، حيث ذكر أسبابَ الإلحاد النفسية والمعرفية، وعند ذكر الأسباب المعرفية أوجزها في الآتي:

١) ضعْفُ وفقْرُ المكتبة العربية الإسلامية في نقد الإلحاد الجديد، فيجدُ الشبابُ المتشكِّكُ والمتسائلُ نفسَهُ في العراء، وفي المقابل هناك وفْرةٌ في المواد الإلحادية كتابية وفيديوية بشكْلٍ يجْعَلُ المعادلةَ تميلُ بشدَّةٍ لصالح الإلحاد.

---

(١) يوتيوب: الأسباب المعرفية للإلحاد بين الشباب العربي.

www.youtube.com/watch?v=qWAD9mAzE1Y

٢) اعتمادُ العلماء على صياغاتٍ كلاميَّةٍ قديمَةٍ بائدةٍ لا يفْهَمُها عوامُّ الشباب بينما الشبهات معروضةٌ بصياغات يسيرة قريبة للفهم.

٣) رفْضُ بعض العلماء التصْنيف في الرّد على الشبهات، فعندما يبحثُ الشبابُ عنْ ردودٍ على الشبهات التي تحاصرُهُ لا يجد، وبالتالي يظنُّ أنَّهُ لا توجدُ ردودٌ ولا إجاباتٌ فيفْقِدُ ثقَتَهُ في قُدْرة الإسلام على مواجهة الإشكالات والتساؤلات مما يؤدّي في نهاية المطاف إلى الوقوعِ في الإلحاد.

وهذه الأسباب المعرفية للسقوط في الإلحاد تَضُمُّ أيضًا شبهاتٍ كثيرةً أهمهما:

- وجودُ الشر في العالم.

- القتْلُ والحروبُ باسم الدين.

- شبهاتٌ حوْلَ القضاء والقدر.

- شبهاتٌ حول الحكمةِ الإلهيةِ في الخلق.

لكنَّ أهمَّ هذه الأسبابِ المعرفيَّةِ من وجهة نظري هو المتاجرةُ بالعلم لترويج الإلحاد؛ حيْثُ يَتِمُّ الترويجُ لنظرية التطور مثلًا على أنَّها حقيقةٌ قطعيَّةٌ يقينيةٌ وأنَّها هي العلمُ الذي لا يقْبَلُ الخلافَ، كما يتِمُّ

الترويجُ للنظريات الحديثة في نشْأةِ الكوْنِ خصوصًا على يد العالم الفيزيائي الأشهر (ستيفن هوكينج). فإذا تعارَضَتْ هذه النظرياتُ مع الدّين كان هذا دليلًا عند القوْمِ على بطلان الدين وخرافاته. وهذا التحدي الأكبرُ الذي يواجِهُ الإسلامَ الآن هو مواجهةُ هذه النظريات العلمية وتمحيصها وتمييز الحق من الباطل فيها وَفْقَ منهجيَّةٍ شرعيَّةٍ إسلاميَّةٍ عقلية سليمة.

سمات الإلحاد الجديد في الغرب:

١) الدَّعْوةُ النشطةُ المحمومةُ إلى الإلحاد.[١]

٢) انتقاله من الإطار الفلسفي النخبويِّ إلى القاعدة الشعبية – أعمالٌ كتابيَّةٌ وفيديوية موجهة للشباب والمراهقين والأطفال–.

٣) الاستخدامُ المكثَّفُ للإعلام والإعلانات وتسريب الأطروحات الإلحادية من خلال الأفلام والمسلسلات والوثائقيات وحتى أفلام الكارتون.

٤) السَّعْيُ المحمومُ نحو ترجمة الأعمال الإلحادية إلى اللغة العربية –كتب، مقالات، محاضرات، وثائقيات–.

٥) نبرةُ الحنق والغضب من الأديان وكثافة السَّبِّ والتطاولِ والعُنْفِ اللفظيِّ حتى يسموه (الإلحادَ الحربيَّ Militant Atheism)،

---

(١) عبد الله العجيري، "ميليشيا الإلحاد"، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، ص٢١.

ويظْهَرُ هذا بارزًا في عناوين الكتب (وهْمُ الإله، نهايَةُ الإيمان، اللهُ ليْسَ عظيما، الدينُ أصْلُ كلِّ الشرور، كيْفَ يُسَمِّمُ الدِّينُ كلَّ شيء).[1]

٦) استخدامُ السخرية لهزِّ قداسةِ الدين -في الحوارات والمناظرات والوثائقيات والبرامج الفضائية-، وزيادةِ جُرْعَةِ السخريةِ من الأديان في الأعمال الفنية.[2]

٧) الاسْتِعْمالُ الكثيفُ لأطروحَةِ مكافحةِ الإرْهابِ ضِدَّ الدين.[3]

٨) استغلالُ العلومِ التجريبيَّةِ والكُشُوفِ الحديثةِ لتأْييدِ الإلحاد وترويجِهِ لأيَّةِ مناسبةٍ -المتاجرة بالعلم- خصوصًا أطروحات نظرية التطور.[4]

سمات عقلية الملحد:

هناك سماتٌ عقليةٌ وذهنيةٌ يخْتَلِفُ بها الملْحِدُ عنْ المؤمن، هذه السمات هي أصْلُ النزاع بين الفريقين، وهي السببُ الرئيسيُّ في عدَمِ فهْمِ المُلْحِدِ للأدلَّةِ على وجود الله، والسبَبُ كذلك في نِشُوءِ إشكالاتٍ عقليَّةٍ لديه مثل مسألة الشر. لهذا فإنَّ تفْكيكَ هذه العقليةِ والسَّعْيَ لفَهْمِ مواطن الإشْكالِ فيها هو أوَّلُ السبيل لمخاطبتها وإقْناعها

---

(١) المصدر السابق ص٤٣.

(٢) المصدر السابق ٦٩.

(٣) المصدر السابق ٦٣.

(٤) المصدر السابق ٨٣.

بالحقّ وتبْيِينِ أُسُسِ ومحاورِ العقليَّةِ الإيمانيَّةِ وسلامتها واتّساقها الداخليّ وانْسِجامِها مع سائر القواعد المعرفية الكلية.

١) الثقةُ المفرطةُ في الفكرة والرؤية الإلحادية:

كما شرَحْنا في السابقِ أنَّ الظاهرةَ الإلحادية تَضُمُّ ألوانَ طيْفٍ متعددَةٍ –ملحد، لاأدري، ربوبي–؛ لكنَّ الغالبَ على ظاهرة الإلحاد الجديد هو أنَّ اللوْنَ الإلحاديَّ المنكرَ لوجود الصانع بالكلية هو السائدُ بخلاف إلحادِ عصْرِ التنْويرِ الذي كان يمِيلُ في البداية إلى الربوبية ثُمَّ إلى اللاأدرية والشكوكية، أمّا الإلحادُ الجديدُ فيَتَمَيَّزُ ببروزِ جانبِ الإلحاد المنكرِ لوجود الله وليس الربوبيَّ أوْ اللاأدريَّ بلْ والتعصبُ لهذه الرؤية، حتى أنَّ أبْرَزَ الانتقاداتِ له في الغرْبِ هو الإغراقُ في التَّعَصُّبِ وإنْكارِ أيَّةِ فضيلةٍ للمخالف، مثله كمثل التعصب الديني في أسوأ صوره.[١]

٢) حصر المعرفة في الحسّ والتجربة والمادة:

(١) أنظر مثلا نقد أليستر وجوانا ماكجراث لكتاب ريتشارد دوكينز (وهم الإله) في كتابهما (وهم دوكينز ، الأصولية الإلحادية وإنكار الإله).

Alister E. McGrath, Joanna Collicutt McGrath, “The Dawkins Delusion? Atheist Fundamentalism and the Denial of the Divine”, InterVarsity Press 2007

والإنْكارُ التام للغيبيات واختزال الموجودات في المادة المحسوسة فيما يُعْرفُ بـ(الفلسفة المادية الاختزالية Reductionism) حيْثُ يرى القوْمُ –مثلًا– أنَّ الوعْيَ والإرادةَ الحرَّةَ والميولَ النفسيةَ والروحيَّةَ في الإنسان يمكن ردّها إلى تفاعلاتٍ كيميائيةٍ وإشاراتٍ عصبيةٍ تدورُ في الجهاز العصبي، ويتبَنُّونَ أطروحاتِ مدْرَسَةِ الحتْمِيَّةِ البيولوجية في علم الأحياء ومدرسة الحتمية السلوكية في علم النفس.

٣) المحكم والمتشابه الكوني:

وهذه من أبْرَزِ سماتِ العقليَّةِ الإلحادية، ففي الكوْن وفي خلْق الإنسان وسائرِ الكائنات آياتٌ محْكَماتٌ تَدُلُّ على الإحكام والدِّقَةِ وبراعَةِ الصَّنْعَةِ تشيرُ بوضوحٍ إلى علْمِ الله وحكمته وخبرته وعنايته، وفيه كذلك آياتٌ متشابهاتٌ قد تُحارُ العقولُ في اسْتنْباط الحكمة الإلهيَّةِ من وجودها. فالعقليَّةُ الإيمانيَّةُ تَرُدُّ هذه المتشابهاتِ إلى المُحْكَمِ الثابتِ من علْمِ الله وحكمتِهِ الواسعةِ في خلقه؛ بينما العقليةُ الإلحاديةُ ترد المحكماتِ إلى المتشابهات التي توهِمُ الفوضى والعشوائيةَ أوْ وجودِ العيوبِ والخَلَلِ في الكائنات.[١] لهذا فإنَّ القواعدَ العقليَّةَ الكليَّةَ

(١) يوتيوب: مكمن الخطأ في طريقة نظر الملحد للظواهر الكونية – الأستاذ عبد الله الشهري.

مثل: إرجاع المتشابهات إلى المحكمات، ومحاكمة الظَّنِّيات للقطعيات، وتقْديمِ الجمْع بين الأدلة على التَّرْجيح بينها بقدر الإمكان، وتقديم الدَّليلِ الأقْوَى على الدَّلِيلِ الأضْعَفِ عند التعارض، هي أصولُ ومحاورُ عقليَّة المؤمن بخلاف الملحد وهي التي يعتمدُ عليها الحوارُ بين الطرفين.

www.youtube.com/watch?v=QO_kA1HIfVA

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	١٠

الفصل الأول

الإلحاد الجديد

تعريفات	١٨
نبذة مختصرة	٢٠
أسباب وقوع الشباب العربي في الإلحاد	٢٦
لماذا نسعى لمعرفة أسباب الإلحاد في مجتمعاتها العربية؟	٢٦
أسباب الإلحاد في العالم العربي	٢٨
سمات الإلحاد الجديد في الغرب	٤٥
سمات عقلية الملحد	٤٦

الموضوع	الصفحة

الفصل الثاني

الأدلة على وجود الإله

دلالة الفطرة على وجود الله ٥٣

– المبادئ العقلية ٥٥

– الغرائز ٦٠

– القيم الأخلاقية ٦٢

– خلاصة ما سبق ٦٣

– ما الذي لدى الملاحدة ليقدموه في مسألة الفطرة؟ ٦٣

– فيروس الإيمان ٧٥

– الميم ٧٦

– ما الدليل على صدق الفطرة؟ ٧٩

الأدلة المستمدة من الفطرة ٨٤

• الدليل الأنطولوجي ٨٤

• البرهان الأخلاقي العملي........................ ٨٨

• دليل الافتقار الاضطراري ٨٩

الأدلة العقلية على وجود الله ٩١

– القسم الأول : دلالة الخلق والاختراع ٩٣

الموضوع	الصفحة

• دليل حدوث أو إمكان أو افتقار الذوات ٩٣
• دليل إمكان الصفات ٩٧
• الخواص الانبثاقية ٩٩
• دليل حدوث الصفات ١٠١
– القسم الثاني : دلالة العلة الغائية ١٠٥
• دليل النظام ١٠٥
• دليل المعلومات الحيوية ١٠٨
• دليل التعقيد غير القابل للاختزال ١١٧
• دليل العناية الإلهية ١٢٠
• دليل الضبط الدقيق ١٢٢
المرجحات الخارجية للإيمان على الإلحاد ١٢٩
– رهان باسكال ١٢٩
– أهمية الإيمان للصحة النفسية ١٣٠
– أهمية الإيمان لأجل سلامة المجتمع.............................. ١٣٥

الفصل الثالث

أطروحات الإلحاد في مناوئة الأدلة على وجود الله

من خلق الله؟ ١٤١
مشكلة وجود الشر ١٤٥
تناقض القدرة الإلهية ١٥٩
تناقض العلم الإلهي ١٦٥

الفصل الرابع

نقد أطروحات الإلحاد

سؤال الأخلاق ١٧٠
حرية الإرادة ١٧٧

الفصل الخامس

سبل مكافحة الإلحاد

لماذا نهتم بمكافحة الإلحاد؟........................ ١٨٦
كيفية تناول ملف الإلحاد ١٨٩
– أولا: محاور العمل في ملف الإلحاد ١٨٩
– ثانيا: توصيات منهجية للعاملين في ملف الإلحاد ١٩٣